تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء وقوله تعالى : { لا يملكون منه خطابا } أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى : { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } وكقوله تعالى : { يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون } اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ما هو ؟ على أقوال (أحدها) ما رواه العوفي عن ابن عباس أنهم أرواح بني آدم (الثاني) هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة : هذا مما كان ابن عباس يكتمه (الثالث) أنهم خلق من خلق ا على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش (الرابع) هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك ويستشهد لهذا القول بقوله D : { نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين } وقال مقاتل بن حيان : الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب D وصاحب الوحي (الخامس) أنه القرآن قاله ابن زيد كقوله : { وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا } الاية (والسادس) أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله : { يوم يقوم الروح } قال : هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال : الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق ا تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفا وحده وهذا قول غريب جدا وقد قال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد ا بن عرس المصري حدثنا وهب ا بن روق بن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبد ا بن عباس : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [إن ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانك حيث كنت] وهذا حديث غريب جدا وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات وا أعلم وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها والأشبه عندي وا أعلم أنهم بنو آدم .

وقوله تعالى : { إلا من أذن له الرحمن } كقوله : { يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه } وكما ثبت في الصحيح [ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل] وقوله تعالى : { وقال صوابا } أي حقا ومن الحق لا إله إلا ا كما قاله أبو صالح وعكرمة وقوله تعالى : { ذلك اليوم الحق } أي الكائن لا محالة { فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا } أي مرجعا طريقا يهتدي إليه ومنهجا يمر

به عليه وقوله تعالى : { إنا أنذرناكم عذابا قريبا } يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لأن كل ما هو آت آت { يوم ينظر المرء ما قدمت يداه } أي يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها قديمها وحديثها كقوله تعالى : { ووجدوا ما عملوا حاضرا } وكقوله تعالى : { ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر } { ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا } أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود وذلك حين عاين عذاب ا ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة وقيل إنما يود ذلك حين يحكم ا بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كوني ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر { يا ليتني كنت ترابا } أي كنت حيوانا فأرجع إلى التراب وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد ا بن عمرو وغيرهما آخر تفسير سورة النبأ و الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة